



الدراسات النسوية
Gender Studies



السياحة ممارسة استعماريّة: الغسيل الوردّيّ ومسيرة الفخر الإسرائيليّة

دراسة حالة

◆ ربيع عيد ◆



تشرين الثاني 2022

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية



برنامج الدراسات النسوية
السياحة ممارسة استعمارية: الغسيل الوردى ومسيرة الفخر الإسرائيليّة
دراسة حالة
ربيع عيد

صحافي وكاتب وباحث من فلسطين. حاصل على البكالوريوس في العلوم السياسيّة من جامعة حيفا، وعلى الماجستير في الإعلام والدراسات الثقافيّة من معهد الدوحة للدراسات العليا، وماجستير في الصحافة والأفلام الوثائقيّة في جامعة سايسكس ("Sussex") في بريطانيا.

محررة مسؤولة: د. عرين هوّاري
تصميم: أمل شوفاني
مديرة النشر والانتاج: إيناس خطيب
تدقيق لغوي: حنا الحاج

صورة الغلاف: <https://www.cbc.ca/news/world/tel-aviv-gay-pride-parade-1.3612919>

العنوان: همغينيم 90 حيفا
البريد الإلكتروني: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035



السياحة ممارسة استعماريّة: الغسيل الوردّي ومسيرة الفخر الإسرائيليّة دراسة حالة

ملخّص

أنطلق في هذه الدراسة من تفكيك العلاقة القائمة بين الاستعمار والسياحة، مُطليقًا عليها «السياحة ممارسة استعماريّة» كمفهوم في وصف الأطر والبُنى وعلاقات القوّة التي تُشكّله سياسيًا وتاريخيًا اقتصاديًا وثقافيًا. وأبحث كدراسة حالة مسيرة الفخر الإسرائيليّة في مدينة تل أبيب، وارتباطها بمفهوم السياحة كممارسة استعماريّة من خلال تجلّياتها في عمليّات الغسيل الوردّي الإسرائيلي. وفي سبيل ذلك، أحلّل نصوصًا متعدّدة كالصور والفيديوهات والمقالات والحملات الإعلانيّة الإسرائيليّة ابتغاءً تفكيك هذه العلاقة، معتمدًا على دراسات ما بعد الاستعمار والدراسات الجنديّة.

كلمات مفتاحيّة: استعمار؛ إسرائيل؛ فلسطين؛ صناعة السياحة؛ المثليّة الجنسيّة؛ المثليّة الوطنيّة؛ الغسيل الوردّي؛ مسيرة الفخر.

مقدّمة

أصبحت دولة إسرائيل، خلال العَقد الأخير، وجهة سياحيّة عالميّة بارزة في ما بات يُعرف بالسياحة المثليّة /الكويريّة¹؛ إذ يزورها سنويًّا عشرات آلاف السّياح المثليّين/ات ومزدوجي الميول والعاشرين/ات جنسيًّا، وذلك في شهر حزيران من كلّ عام خلال ما يسمّى مسيرة الفخر السنويّة في مدينة تل أبيب. جاء هذا التضخّم في هذه السياحة جرّاء سياسات «الغسيل الوردّي» («Pink Washing») الإسرائيليّة. وهي التسمية التي بدأ باستخدامها العديد من الناشطين المناهضين للاحتلال والأكاديميين في السنوات الأخيرة ليشيروا بها إلى استخدام إسرائيل الرسميّة والعديد من مؤسّساتها غير الرسميّة الأخرى لحقوق المثليّين/ات، من أجل إخفاء وتغطية ممارساتها الاستعماريّة تجاه الشعب الفلسطينيّ، وتطبيع نظامها الاستيطانيّ الاستعماريّ وسياسات الفصل العنصريّ. تركز هذه السياسات على الالتقاء بين مصالح صناعة السياحة الإسرائيليّة الساعية إلى التبرّح المادّي، ومصالح الحكومات الإسرائيليّة الساعية إلى تغيير صورتها، ولا سيّما في الغرب، من صورة دولة احتلال أو منطقة حرب إلى صورة دولة عصريّة تصون الحقوق وتوفّر الحرّيات. مقابل ذلك، ينشط ناشطو وحركات فلسطينيّة محلّيّة وعالميّة في تفكيك عمليّات وخطاب الترويج لحقوق المثليّين/ات الذي تتبناه إسرائيل، وربطها مع طبيعة النظام الإسرائيليّ كنظام يصرّ نفسه على أنّه ليبراليّ عصريّ، منفتح، يتقبّل الآخر ويحقّق المساواة، ومقاومته من خلال فضح التزييف واستغلال قضايا التعدديّة الجنسيّة سياسيًا من أجل التغطية على جرائم الاحتلال وطبيعته العنيفة، والتفتت المقاومة الجندريّة بالمقاومة السياسيّة في هذه الحالة لمواجهة الاستخدام الإسرائيليّ لورقة «حقوق المثليّين/ات» دوليًا وكذلك محلّيًا تجاه الفلسطينيّين الذين يعيشون تجارب جنسيّة مختلفة.

أنقش في هذه الدراسة علاقة السياحة المثليّة /الكويريّة بالاستعمار والرأسماليّة (أو الربح الاقتصاديّ) من خلال الغسيل الوردّي في مسيرة الفخر الإسرائيليّة، وأتناول نماذج لمقاومة سياسات وخطاب الغسيل الوردّي. يطرح البحث أسئلة بشأن ماهيّة الصور والرسائل التي يروّج لها الغسيل الوردّي الإسرائيليّ، وبشأن كيفيّة ارتباط مسيرة الفخر في إسرائيل بتكريس الخطاب والحالة الاستعماريّة من خلال السياحة المثليّة /الكويريّة، وبشأن هويّة الأصوات المقاومة للغسيل الوردّي.

أنطلق في هذه الدراسة من فرضيّة مُفادها أنّ خطاب الغسيل الوردّي الإسرائيليّ، المسخّر في مسيرة الفخر في تل أبيب الناجحة سنويًّا في استقطاب عشرات آلاف السّياح من حول العالم، هو أمرٌ مقتدرن بظاهرة عالميّة هي العلاقة القائمة بين صناعة السياحة المرتكزة على المثليّة /الكويريّة في دول ما بعد الاستعمار مع المثليّة الوطنيّة والمثليّة المعياريّة، التي كوّنت حالة اللامساواة وأعدت خلق منطق استعماريّ جديد من خلال ممارسات السّياح. هذه العلاقة متّصلة بتحوّلات داخل الرأسماليّة التي غيّرت من ميناها السابق القائم على الغيريّة الجنسيّة لتشمل هويّات جنسيّة كويريّة، ممّا يتلاقى مع هيمنة خطاب المثليّة الوطنيّة والمثليّة المعياريّة السائد في

1. كوير (Queer): مصطلح يُستخدم لوصف هويّات جنسيّة مختلفة عن الهويّة الجنسيّة المهيمنة ثقافيًّا واجتماعيًّا ألا وهي الهويّة السويّة (Straight) / المغايبة (Heterosexual). تعني كلمة «كوير» بالعربيّة «الشاذّ والمنحرف عن القاعدة»، أو اللانمطيّ. لاحقًا، أعادت الحركة السياسيّة الكويريّة تعريف الكلمة لتعطيها مفهومًا سياسيًا إيجابيًا مقاومًا.

الدول الغربيّة، كدول أوروبا والولايات المتّحدة وكندا -على سبيل المثال- التي منها يأتي الجمهور الأساسيّ من السيّاح إلى مسيرة الفخر في تل أبيب، والتي فيها يُوجّه -في المعتاد- خطاب الغسيل الورديّ الإسرائيليّ الساعي إلى تحقيق أهداف سياسيّة بغية تلميع صورة الاحتلال. تكمن أهميّة هذه الدراسة في أنّها تبحث في موضوع راهن وحالة متشكّلة حديثة ما زالت تتفاعل، ألا وهي مسيرة الفخر الإسرائيليّة والغسيل الورديّ التي تنجح من خلالها دولة إسرائيل في تشكيل صورة عن نفسها كدولة ليبراليّة عصريّة منفتحة تجاه المثليين/ات وذوي الجنسانيّات المختلفة عن تلك المهيمنة، كي تغطّي على جرائمها من خلال استقطاب عشرات الآلاف من خلال السياحة المثليّة /الكويريّة سنويًّا. تسعى هذه الدراسة إلى تقديم تفكيك وتحليل مختلفين لهذه الظاهرة والحالة بالاعتماد على نظريّات نسويّة وكويريّة وأخرى متعلّقة بدراسات ما بعد الاستعمار، والغوص على نحو عميق في تفكيك إستراتيجيّة السياسة الإسرائيليّة في دعاية الغسيل الورديّ على صعيد عالميّ التي تلقى نجاحًا.

كذلك تنبع أهميّة الدراسة من النقص الكبير في الدراسات العربيّة المعمّقة حول هذا الموضوع، في وقت تدور فيه نقاشات عديدة بشأنه في الجامعات ووسائل الإعلام الغربيّة، وفي ظلّ وجود تيار نقديّ محلّيّ فلسطينيّ وعالميّ يحارب الغسيل الورديّ الإسرائيليّ، وتسعى هذه الدراسة إلى التعريف به. انطلاقًا من ذلك، يأتي الاحتياج إلى ربط عيّنة البحث المحليّة (مسيرة الفخر في تل أبيب) مع الأدبيّات التي أتت عليها في هذه الدراسة المتعلّقة بالسياحة والاستعمار والمثليّة المعباريّة والمثليّة الوطنيّة، وذلك لمعرفة أسباب نجاح الغسيل الورديّ الإسرائيليّ.

السياحة المثليّة وما بعد الاستعمار

دراسات الاستعمار وما بعد الاستعمار (وهي مجموعة من النظريّات والتوجّهات السياسيّة والفكريّة التي تبحث في المجتمعات التي تعرّضت للاستعمار) تُعتبر ذات أهميّة في فهم الخطاب السائد وتحليل قضايا عديدة تتعلّق بالجنسانيّة وارتباطها بالنوع الاجتماعيّ والعرق والطبقة الاجتماعيّة. للإجابة عن سؤال البحث وقراءة عيّنة الدراسة المستعرّضة من منظور أوسع، أتطرّق في البداية إلى علاقة السياحة بالاستعمار وما بعد الاستعمار، كمدخل للشروع في فهم العلاقة بين السياحة المثليّة والغسيل الورديّ الإسرائيليّ، وأتناول أمثلة من عدّة أماكن في العالم تعكس تجارب مختلفة، لكنّها تتقاطع في تشكيل مفهوم السياحة كممارسة استعماريّة.

تسرد الكاتبة جاميكا كنكيد، في عملها الشهير «مكان صغير» («A Small Place») الذي يدمج بين المذكّرات والأدب، ويتناول وينتقد الاستعمار والدولة التي تنشأ بعد الاستعمار في بلدها «أنّيجوا» («Antigua»)، وهي جزيرة صغيرة بين الأمريكيتين، تسرد غضبها الشخصي من الرجل الأبيض السائح الذي ما زالت تراه وتتعامل معه على أنّه مستعمر.

يعكس هذا النصّ، على لسان كنكيد، بشاعة الاستعمار ومنطقه، فجزيرة «أنّيجوا» كانت مستعمرة بريطانيّة سابقًا، ومحطّة استراحة للسفن التي تجلب «العبيد» من أفريقيا إلى الولايات المتّحدة. تتحدّث كنكيد عن الرجل الأبيض الأمريكيّ /الأوروبيّ الذي يأتي إلى الجزيرة في مرحلة ما بعد الاستعمار كسائح، وتقول إنّ ثمة صناعة جديدة للاستعمار، وهي السياحة التي لا يُمكن فصلها عن الاستعمار الأصليّ. في ما سبق، أتى المستعمر باحثًا عن السكر، أمّا اليوم فهو يأتي باحثًا عن الشمس والبحر

من خلال الرحلات السياحية. فبالنسبة لها، السياحة اليوم وجه حديث لتاريخ استعماري، وتعتبر أنّ السائح وريث لهذا التاريخ؛ وذلك أنه لو لم يكن وريثاً ما كان في استطاعه أن يكون سائحاً، ولأنّ السائح يأتي بنفسية وتوجّه ملخّصهما أنه يريد أن يطوّر البلد ويقوم بالإسهام في تحضّره، بكونه ينفق أمواله في هذه الجزيرة من خلال السياحة، فهو بذلك يستخدم نفس المنطق لمقولات الاستعمار القديم التي تقول إنّ الاستعمار جاء لتحسين ظروف البلد ومن أجل تحضّره.² ما تحدّث عنه كنكيد نراه ماثلاً في أمثلة أخرى حول العالم، وهو ليس حالة منفردة، ففي جزيرة جمهورية موريشيوس («Mauritius»)، الواقعة في المحيط الهندي والتي شهدت فترات استعمار هولندية وفرنسية ثم بريطانية، تجري اليوم صناعة سياحية قائمة على إعادة صياغة المتخيلات الاستعمارية لجذب السائح.

تُناقش الباحثة أوما كوثاري (Uma Kothari) حالة جمهورية موريشيوس، وفكرة تسخير المخيلة الاستعمارية لأجندة سياحية من خلال البحث في الفنادق الفخمة في الجزيرة، المصمّمة بأسلوب يثير فكرة مزارع السكر الاستعمارية والتي تُعيد إنتاج الحضور الاستعماري في أيامنا. تستهدف هذه الفنادق الطبقة الوسطى من دول الغرب الغنية لتوفّر رغبتهم بالترف والجوّ الاستوائي الدافئ و «الغريب» («Exotics»). تتوافر في هذه الفنادق القائمة على الشواطئ جميع الخدمات الترفيهية، من مسابح وملاعب ومطاعم وملاهي وحانات وشبكات إنترنت وقنوات فضائية عالمية، تعزل النزلاء في الفنادق عن «العالم الخارجي»، والذي يصوّره في المعتاد العاملون في الفندق على أنه عالم خطر قد يحمل الأمراض ويعرّض السائح للسرقه، وذلك لجعل السائح يصرف أغلب وقته وماله في الفندق كي لا يخرج منه ويتواصل مع السكّان المحليين. فتحّى طريقة بناء الفنادق، وموقعها، وإطلالتها بشرفاتها على الشاطئ، كلّ هذه تخلق وهمًا ومخيلةً عن المكان مختلفين عمّا هو البلد عليه في الحقيقة. هذا الوهم، الذي تنتجه الصناعة السياحية التي يقف وراءها شركات ووكالات سياحية وإعلانية عالمية ووكلاء سفر وخدمات عديدة، يعيد إنتاج الحضور الاستعماري من خلال عمليّة الفصل في المكان.³

في الغالب، يُنظر إلى السياحة الجماهيرية القائمة على استجلاب أكبر عدد ممكن من الناس إلى منطقة سياحية معيّنة لغرض الربح الاقتصادي على أنها تعبير عن الحداثة، إذ يناقش وليد حزبون هذه القضية من خلال دراسة حالة شواطئ تونس وإسبانيا وكيفيّة تشكّل السياحة الشاطئية في البحر المتوسط، وارتباطها بعوامل جيو-سياسية فرضت تعبيرات ثقافية ومعمارية من الحداثة غير مناسبة للسيارات المحليّة. ويقرن حزبون طريقة فهم السياحة كتعبير ثقافي عن الحداثة في بلدان البحر المتوسط، التي بدأت في سنوات الستين والسبعين، بعمليات تطوير للشواطئ السياحية ضمن معايير غربية استوجبت فيها هذه العمليات استبدال خصائص المكان ومفاهيمه المحليّة. لم يجرّ تطوير السياحة في بلدان المتوسط بناءً على تاريخ ومفهوم السياحة في سياقه المحلي وبصورة لا تناسبه، حتّى إنّ لم تجرّ عمليّة تطوير لأشكال السياحة المحليّة وتخلّى سكان هذه البلدان عن عمليّة التطوير.⁴

تُناقش الكاتبة جسيكا ألكسندر (Jacqui Alexander) علاقة السياحة بالاستعمار من خلال تناولها

2. Kincaid, Jamaica. (1988). **A small place**. London: Macmillan.

3. Kothari, Uma. (2015). Reworking colonial imaginaries in post-colonial tourist enclaves. **Tourist Studies**, 15(3). Pp. 248-266.

4. Hazbun, Waleed. (2009). Modernity on the beach: A postcolonial reading from southern shores. **Tourist Studies**, 9(3). Pp. 203-222.

موضوع سياحة الرجل المثليّ الأبيض، ويُقصد على وجه التحديد الأمريكيّ - الأوروبيّ من الطبقة الوسطى أو الغنيّة المتعلّم / المثقّف، إلى دول خارج المستعمرة الأمّ والتي كانت مستعمرة سابقاً. تُفكّك ألكسندر طبيعة هذه السياحة، التي يأتي فيها الرجل الأبيض - في المعتاد - من خلال باخرة خاصّة للمثليين تجوب البحار وتقف في بعض المحطّات، في بعض الدول، بحثاً عن ممارسة علاقات جنسيّة مع سگان محليّين حيث تُخلق تجاههم رغبة جنسيّة مختلفة في كونهم «مختلفين». وتشبّه هذه العمليّة بالاستعمار القديم الذي كان يأتي فيه الرجل الأبيض بحثاً عن أرض وموادّ خام وعبيد، والأهمّ من كلّ ذلك بحثه عن أسواق جديدة، خدمة لطبيعة النظام الرأسماليّ القائم. تُستخدم هذا التشبيه بناءً على كون طبيعة النظام الرأسماليّ يبحث دومًا عن أسواق جديدة، الأمر الذي يدفع هذا النظام لاحتواء هويّات جنديّة جديدة وخلق سوق لها، وهذه السياحة تأتي في هذا الإطار؛ ومن هنا لم يعد الرجل الأبيض مغايرًا جنسيًا فقط، بل مثليّ الجنس كذلك لديه فائض ماليّ ويذهب للاسترخاء والراحة في عطلة. هذا الرأسمال المثليّ والقدرة الشرائيّة من خلال رحلات السياحة وخلق رغبة وشهوة جنسيّة جديدة أسّسا لخارطة جنسائيّة، من خلال تصنيف الدول والمناطق الآمنة والجيدة لهذه السياحة، وتلك السيّئة وغير الآمنة⁵. هذه الخارطة الجنسائيّة ليست إلا خارطة استعماريّة جديدة، يُقسّم فيها العالم حسب رغبات الرجل الأبيض، وهو نفس المنطق الاستعماريّ القديم الذي كان «يستكشف» العالم ويصنّفه من أجل مصالحه الرأسماليّة⁶.

تُناقش أليسيا سيمپسون (Alycia Simpson) آثار السياحة الكويريّة العالميّة، وتحديدًا عندما يدخل المثليّ الغربيّ الأبيض من أبناء الطبقة الوسطى من الولايات المتّحدة إلى دولة كالبرازيل، وتسعى لتحديد التأثير الذي تركه المثليون من الولايات المتّحدة على الذكورة في مدينة ريو دي جانيرو، من خلال استحضار النظريّة الكويريّة الإمبرياليّة («Queer Imperialism») حيث يُصبح السائح مُستعمراً والبرازيليّ المحليّ مستعمراً. تبحث سيمپسون كرنفال ريو دي جانيرو كدراسة حالة، حيث تُجرى عبّر الصناعة السياحيّة من خلال الصور واللغة والإعلانات عمليّة بناء إثارة جنسيّة تجاه الذكور البرازيليّين وإعادة إنتاج المُثل الغربيّة المهيمنة. شكّل مهرجان ريو دي جانيرو تكريماً لهياكل السلطة القائمة من خلال تبني نمط معيّن من الذكورة يجري استهلاكه عبّر الصناعة السياحيّة الرأسماليّة النيوليبراليّة وخلق شهوانيّة جنسيّة نحو البرازيليّين⁷.

كذلك أشار مارك باديليا (Mark Padilla) في كتابه «صناعة المتعة في الكاريبي» («Caribbean Pleasure Industry») الذي يتضمّن بحثاً في مواضيع محلّيّة لها علاقة بسياسة النوع الاجتماعيّ والجنسائيّة إلى التاريخ الاستعماريّ وإلى الازدهار الحاليّ للصناعة السياحيّة في جزر الكاريبيّ. يأخذ باديليا جمهوريّة الدومنيكان كحالة دراسة للاقتصاد السياحيّ القائم على خلق حاجات -كالراحة والمتعة والهروب من الحياة اليوميّة في الدول الغنيّة- من خلال استكشاف تفاوضات الهويّة والانتماء والشهوة نحو نفس الجنس، وممارسات للطبقة العاملة والفقيرة من الرجال الدومنيكان العاملين في الجنس كمهنة من

5. انظروا، على سبيل المثال، خارطة [سيارتاكوس](#) («Spartacus») الجنسائيّة.

6. Alexander, Jacqui M. (2005). **Pedagogies of crossing: Meditations on feminism, sexual politics, memory, and the sacred.** Durham: Duke University Press.

7. Simpson, Alycia. (2013). Flirting with desire: An analysis of masculinity through Rio de Janeiro's carnival as influenced by queer tourism and imperialism. [GWAR](#), 305(02).

خلال ممارسته مع رجال ونساء أجانب ومحليّين دون أن يعرّفوا أنفسهم كمثليّين أو ثنائيّ الجنس.⁸ وتتعدّد الأمثلة من حول العالم. فلنأخذ على سبيل المثال جزيرة باربادوس (حيث يُدرّس ديفيد موريه تجربة فندق يديره بريطانيّ، ويُسوّقه كموقع للسياحة المثليّة، ويدلّ السياح على أماكن لممارسة الجنس مع شبّان محليّين صغار)،⁹ بالإضافة إلى دراسة دانا كولنز (Dana Collins) حول المثليّين المغتربين الذين يعيشون في مدينة مانيلّا في الفلبين وخلقهم لفضاء لتطبيع الهويّة الجنسيّة الغربيّة.¹⁰

المثليّة الوطنيّة والمعياريّة

ولفهم أعمق لصناعة السياحة المثليّة / الكويريّة، أتناول مفهومين مركزيّين، هما المثليّة المعياريّة («Homomonormativity») والمثليّة الوطنيّة («Homonationalism») اللتان ترتبطان ارتباطًا مباشرًا بموضوع الدراسة وتُعتبران نتاج فكر ودراسات نقدية داخل الدراسات النسويّة والكويريّة وما بعد الاستعمار.¹¹ طَفَتْ داخل الحركة المثليّة تبايُنات واختلافات فكريّة جذريّة، تجلّت بالأساس بين التوجّه العامّ لحركة المثليّين التي تعمل على المساواة المواطيّة (من ذلك قضايا تشريع الزواج والسماح للمثليّين بالخدمة في الجيش كقضايا مركزيّة)، والتيار النقديّ لهذا التوجّه المهيمّن على الحركة المثليّة من قبل الحركة اللانمطيّة المتأثّرة بالتنظير النسويّ الكويريّ التي تُؤمن بالتقاطعيّة، وترفض تجزئة القمع، وتقرن بين الطبقة والعرق والنوع الاجتماعيّ.

نشأ مفهوم المثليّة المعياريّة، الذي يعني السياسة الجنسانيّة الليبراليّة الجديدة، ويتمثّل بالمعايير التي يجب أن يتبنّاها المثليّون في نضالهم أو مواقفهم، ووصفته ليزا دُجان (Lisa Duggan) بالعقليّة المثليّة التي «لا تخوض المواجهة مع الافتراضات والمؤسّسات المعياريّة على أساس معياريّة الغيريّة الجنسيّة (Heteronormativity)، وإلّا تتمسك بها وتحافظ عليها».¹² تأتي مداخلة دُجان بشأن فرض معياريّة مثليّة ضمن الإطار الشامل للمجتمع المعياريّ القائم على الغيريّة الجنسيّة، لتربط البُعد الطبقيّ بالنقاش. فالمثليّة المعياريّة تعكس الطرق التي تحتاجها الطبقة الوسطى المثليّة من أجل احتلال مكانة آمنة داخل النظام النيوليبراليّ.¹³

ويُعتبر مصطلح «الغيريّة الجنسيّة المعياريّة» اشتقاقًا من نقد الحركات المثليّة سابقًا لهيمنة توجّه جنسانيّ واحد على المجتمع في مؤسّساته وتعاملاته على مدار عقود هو التوجّه الغيريّ. مصطلح «المعياريّة المثليّة» هو نقد من داخل الحركة الكويريّة على هيمنة نفس منطق الغيريّة المعياريّة على منطق الحركة المثليّة الغربيّة. أوّل من استخدم مصطلح «الغيريّة المعياريّة» كان مايكل

8, Decena, Carlos U. (2010). Caribbean pleasure industry: Tourism, sexuality, and AIDS in the Dominican Republic by Mark Padilla. *American Ethnologist*, 37(1). Pp. 167-168.

9. Murray, David AB. (2007). The civilized homosexual: Travel talk and the project of gay identity. *Sexualities*, 10(1). Pp. 49-60.

10. Collins, Dana. (2009). "We're there and queer" homonormative mobility and lived experience among gay expatriates in Manila. *Gender & Society*, 23(4). Pp. 465-493.

11. تهتمّ دراسات ما بعد الاستعمار بتفكيك علاقة السلطة والقوّة التي سادت خلال الحقبة الاستعماريّة وبعدها بحقول علميّة مختلفة (في الأدب وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفنّ والتاريخ والدارسات النسويّة وعلم النفس وغيرها). من أبرز المفكرين الذين كتبوا عن ذلك إدوارد سعيد، وفرانز فانون، وهومي بابا، وجياتري سبيفاك، وغيرهم.

12. Duggan, Lisa. (2002). The new homonormativity. In Castronovo, Russ, & Nelsom, Dana (Eds.). *Materializing democracy: Toward a revitalized cultural politics* (pp. 175-194). Durham: Duke University Press.

13. Ibid.

وُورنر (Michael Warner) من خلال الأعمال الأولى للنظرية الكويرية، إذ ناقش وُورنر كيف تُعزّز المعيارية الغيرية المؤسسات والسياسات الاجتماعية التي تفترض أنّ طبيعة الناس غيرية جنسيًا، وأنّ الجنس والنوع الاجتماعي هما أمران ثابتة ذكر / أنثى، رجل / امرأة، واعتبر أنّ هذه الثقافة تعزّز المناخ الذي يُميّز ضدّ مجتمع المثليين في قضايا مثل الزواج والعمل والضرائب.¹⁴ أما مصطلح «المثلية الوطنية»، الذي استخدمته جاسبير پوار (Jasbir K. Puar) لوصف العمليات التي تكون فيها السلطات وحركة المثليين متناسقة في نفس المواقف لتبرير العنصرية والعداء للأجانب وُهاب الغيرية الجنسية على نحو خاصّ تجاه المسلمين، حيث تتشكّل مواقف سياسية تستعمل التنوع الجنسي وحقوق المثليين ضدّ المهاجرين وتبتئها على نحو متزايد الحركات اليمينية المتطرفة والأمريكويون البيض. تُناقش پوار، في كتابها «التجمّعات الإرهابية: المثلية الوطنية في الزمن الكويري» الصادر عام 2007، فكرة مركزية بشأن كيفية استغلال واستعمال حقوق المثليين بصورة جزئية وبصورة وظيفية بطريقة تصبّ، في نهاية المطاف، في تعزيز التعصّب وتجاهل وُهاب المثلية ووجود فجوات كبيرة في عدم المساواة داخل المجتمعات الغربية عمومًا، وذلك عبر اعتماد حقوق المثليين كمعيار عامّ للمساواة -وهي فكرة مخطوءة عن المساواة-، ومن هذه الحقوق تشريع زواج المثليين، وذلك من أجل تقييم باقي الدول وشعوب العالم حسب هذا المعيار، الذي يتماهى مع مواقف شوفينية تجاه تلك الدول والشعوب التي لم تشرّع زواج المثليين، أو التي لم تتبنّ حزمة الحقوق المكتسبة للمثليين في الغرب، وغالبًا ما تُربط تلك المواقف بالمسلمين.¹⁵

السياحة والمشروع الاستعماري الإسرائيلي

مثّلت بداية المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، نقطة تحوّل مفصلية بالنسبة للفلسطينيين وحقوقهم الجماعية، منذ أن تمكّن هذا المشروع من تحقيق هدفه بتأسيس دولة يهودية عام 1948، تلك الدولة التي قامت على أنقاض الفلسطينيين عبر عمليات تطهير عرقي منظمّة بغية احتلال أكبر قدر ممكن من فلسطين وإخلائها من السكّان الأصليين. لكن ما حدث في عام 1948 لم يكن النهاية بتحقيق الحلم بقيام دولة يهودية، بل مرحلة جديدة أكثر مأسسة ودموية في الاستمرار بالمشروع الاستيطاني الاستعماري، والسيطرة على المزيد من الأرض، وتأسيس نظام أپرتهيد عنصري ينتهك حقوق الإنسان والمواثيق والقرارات الدولية حتى يومنا هذا.

ولعلّ العمل البحثي الذي أنجزه المؤرّخ الإسرائيلي إيلان پابه، في كتابه «التطهير العرقي في فلسطين»، يقدّم لنا وصفًا دقيقًا للخطوات التي اتخذتها الحركة الصهيونية ابتغاء تنفيذ عمليات تطهير عرقي في فلسطين، في سبيل إقامة وطن قومي لليهود في آخر أيام الانتداب البريطاني على فلسطين وما بعده. يرى پابه أنّ التطهير العرقي، باعتباره مفهومًا معرّفًا على أنّه جريمة ضدّ الإنسانية، يمثّل عمليات ترحيل أكبر عدد ممكن من السكّان من خلال الطرد الجماعي بكلّ الوسائل المتاحة، لإخلاء منطقة معينة في سياق أجواء تضيي شرعية على أعمال المعاقبة والانتقام، وهي عمليات تكون نتيجتها

14. Warner, Michael (Ed.). (1993). *Fear of a queer planet: Queer politics and social theory* (Vol. 6). Minneapolis: University of Minnesota Press.

15. Puar, Jasbir K. (2007). *Terrorist assemblages: Homonationalism in queer times*. Durham: Duke University Press.

خلق مشكلة لاجئين ضمن خطة وإستراتيجية مُعدّة مسبقاً لذلك، وهو جزء جوهريّ من الإستراتيجية التي مثلتها الحركة الصهيونية، مفتدًا الرواية الإسرائيليّة بشأن ما حصل عام 1948 في أنّ طرد الفلسطينيين لم يكن هروبًا جماعيًا، بل كان خطة مفضّلة وضعها بن جوريون في مدينة تل أبيب في 10/3/1948 ترمي إلى تطهير فلسطين عرقيًا، وذلك من خلال ما يلي: إثارة رعب واسع النطاق؛ محاصرة وقصف قرى ومراكز سكّانية؛ حرق منازل وأماكن وبضائع؛ طرد؛ هدم بيوت ومنشآت؛ زرع الألغام وسط الأنقاض لمنع السكّان المطرودين من العودة إلى منازلهم.¹⁶

لا يمكننا قراءة بداية نشاط الحركة الصهيونية بعيدًا عن المحيط الذي نشأت فيه؛ ففي الجوهر الصهيونية حركة أوروبية الجذور، فكرًا وممارسةً. ولأنّ الصهيونية لم تتبلور في صفوف كتلة واحدة من اليهود مجتمعة في رقعة جغرافية محدّدة تسودها أوضاع اجتماعية واقتصادية متشابهة، كتلك التي نشأت فيها الحركات القومية الأوروبية في ذلك الحين، أدت النخب اليهودية المندمجة فعليًا في النظام الرأسماليّ الإمبرياليّ الأوروبيّ دور المبرر بهذه الحركة، وطرحت نفسها وسيطًا بين الفئات السائدة في المراكز الإمبريالية والتجمّعات اليهودية فيها، منتهزة الأوضاع المتوتّرة بين اليهود ومحيطهم لتطرح نفسها حلًّا للمشكلات عبر تجنيد اليهود وتهجيرهم وتوطينهم في مواقع تخدم مصالح الفئات الرأسمالية السائدة. لذا، بعيدًا عن كلّ المزاعم الصهيونية حول القومية اليهودية والحق التاريخي في فلسطين والإنجازات العملية التي حققتها الصهيونية في سبيل ذلك، فإنّ هذا كلّ ما كان ليتشكّل كظاهرة قابلة للحياة خارج إيقاع المسألة الشرقية والصراع الإمبرياليّ بشأن المنطقة.¹⁷

لطالما افتخر ويفتخر القادة الإسرائيليّون بأنّ إسرائيل أقامت نظامًا ديمقراطيًا هو الوحيد في الشرق الأوسط، إلّا أنّ عزمي بشاره يرى أنّ الديمقراطية الإسرائيلية إشكالية، وذلك بسبب نوع الثقافة الاستيطانية وعلاقتها بالديمقراطية كحالة جمهورانية تجمعها قيم استيطانية من نوع تقديس الأمن والخدمة العسكرية والقيم العسكرية وسهولة نشر الشعور بالتهديد؛ إذ إنّ العقيدة الأمنية الإسرائيلية تقول إنّّه ليس هنالك من خيار أمام المجتمع والدولة في إسرائيل سوى الحرب والاستعداد الدائم لها، أي البقاء على أهبة الاستعداد. ويرى بشاره إشكالا آخر في الديمقراطية الإسرائيلية، هو إشكال المواطنة ويهودية الدولة، وذلك إشكال ينقسم إلى إشكالين: الأوّل أنّ يهودية الدولة تستند إلى عدم الفصل بين الدين والقومية، وتقود بالتالي إلى عدم الفصل بين الدين والدولة. والثانية أنّ الدولة ليست يهودية بحكم الأغلبية اليهودية فيها فحسب، بل كذلك بحكم كونها دولة اليهود؛ أي إنّها دولة كثيرين ليسوا مواطنين فيها بعد، ممّا يعني أنّ الدولة ترى لذاتها مهمّة أيديولوجية في إقناع هؤلاء للقدوم والعيش فيها.¹⁸

لم يكن قطاع السياحة في إسرائيل مفصلاً عن طبيعة النظام الاستعماريّ للدولة الإسرائيلية. فمنذ تأسيسها عام 1948، سعت إسرائيل كدولة استيطانية لاستغلال السياحة، إلى جانب كونها مورد دخل اقتصادي، أداة للترويج للرواية الصهيونية. فقد شكّلت السياحة أداة مركزية في تشكيل الصور والمناطق الجغرافية المتخيّلة المتعلقة بكلّ من فلسطين وإسرائيل، ونتيجة لذلك، مُسح الواقع الفلسطيني على نطاق واسع من قطاع السياحة التي تسيطر عليه إسرائيل في فلسطين التاريخية.

16. بايه، إيلان. (2007). **التطهير العرقيّ في فلسطين** (ترجمة أحمد خليفة). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

17. شوفاني، إلياس. (2003). **الموجز في تاريخ فلسطين السياسيّ: منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949** (الطبعة الثالثة). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

18. بشاره، عزمي. (2010). **من يهودية الدولة حتى شارون -دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية** (الطبعة الثانية). القاهرة: دار الشروق.

تقوم السياحة اليوم بدور مهم في الحالة الاستعمارية المستمرة في فلسطين وحاسم في إثبات نجاحات المؤسسة الصهيونية. هذه النجاحات بدأت قبل قيام دولة إسرائيل من خلال منظمات صهيونية عملت على خلق منصات لتحويل الصورة العربية الفلسطينية لفلسطين إلى صورة يهودية، من خلال إنتاج الكتيبات والخرائط والأدلة. فضلاً عن هذا، الجولات السياحية الإسرائيلية - في البلدة القديمة في القدس على سبيل المثال - تُقدّم رواية صهيونية مغايرة للرواية الفلسطينية، ويُستحضر الفلسطيني المُغَيَّب وغير المرئي في هذه الجولات من خلال محلات الحلّي والتذاكر الإسرائيلية كفولكلور فقط يجري بيعها كتذكارات إسرائيلية، كالتطريز والزجاج والزيتون - على سبيل المثال.¹⁹

إنّ العلاقة المركّبة بين الأيديولوجيا والسياحة تتضح في حالات الصراعات والحروب، وتؤدّي دوراً في تطوير وشحن أدوات لبناء نظام إيمان خدمةً للأيديولوجيا. بدأت الحركة الصهيونية نشاطها في بناء منظومة إيمان خدمةً لأيديولوجيتها عبر السياحة منذ عام 1925، وذلك من خلال تأسيس «مكتب المعلومات الصهيوني السياحي» الذي كان يستهدف اليهود في أوروبا الذين يذهبون إلى فلسطين، وذلك من خلال تنظيم جولات ولقاءات لهم بالمستوطنين اليهود في فلسطين وبناء علاقات بينهم. حتّى الخرائط السياحية التي كانت مُعدّة لهذه السياحة كانت مبنية على نحوٍ يُظهر طابع فلسطين اليهودي، بالإضافة إلى الجولات المنظمة التي كان يُشرف عليها يهود فقط. ذلك، وتوجيه السائح إلى الفنادق اليهودية، واستخدام سائقين يهود للسائح، كلّ ذلك كان في إطار عمليات الهجرة المنظمة لليهود نحو فلسطين خلال فترة الانتداب البريطاني، إذ سُخّرت عمليات صناعة السياحة إذّاك في خلق صور خدمة لهذه الهجرة.²⁰

تُعتبر السياحة الجماهيرية في إسرائيل هدفاً اقتصادياً وسياسياً وأيديولوجياً يرتكز على ظلم الفلسطينيين وعلى محو وإخفاء للعنف الموجه ضدهم. سيطرت إسرائيل على الصناعة السياحية، وأقصت الفلسطينيين عن ذلك من خلال المصادر والمواقع والإمكانيات السياحية بسبب الاحتلال. فضلاً عن هذا، يُخفي البرنامج الإسرائيلي المُعدّ للسائح في أماننا الواقع والسردية الفلسطينية، وتُمنع زيارة مواقع وبلدات فلسطينية إلا لأهداف تخدم الـ «ترويج» في بعض الأحيان، وتكون كنيسة المهدي في بيت لحم المكان الوحيد الذي يزورونه في أراضي الضفة، وذلك لساعات محدودة.²¹ الدعاية الصهيونية من خلال السياحة مستمرة وبوتيرة أعلى، ومنظمة على نحو أكبر. على سبيل المثال، من خلال بحث أجري على السياحة اليهودية الشابة إلى إسرائيل صدر في كتاب عام 2008، وحمل العنوان «السياحة الشابة إلى إسرائيل... التجربة الترويجية للشباب»، نجد مدى مأسسة هذه السياحة وارتباطها بمؤسسات صهيونية عالمية بغية تشجيع اليهود خارج إسرائيل - ولا سيما الأجيال الشابة - للقدوم والقيام بالسياحة فيها. ترتبط هذه المأسسة بمؤسسات إسرائيلية تعمل على ذلك بصورة منهجية، من بينها برنامج تجربة إسرائيل («Israel Experience Program») الذي استقطب منذ عام 2000 أكثر من 298 ألف يهودي حول العالم إلى رحلات سياحية متعددة ومنظمة إلى

19. Vanden Boer, Dorien. (2016). Toward decolonization in tourism: engaged tourism and the Jerusalem tourism cluster. [Jerusalem Quarterly](#), (65). Pp. 9-21.

20. Cohen-Hattab, K. (2004). Zionism, tourism, and the battle for Palestine: Tourism as a political-propaganda tool. [Israel Studies](#), 9(1). Pp. 61-85.

21. Kassis, Rami. (2004). The Palestinians and justice tourism. [CONTOURS-BANGKOK THEN HONG KONG](#), 14(2/3). Pp. 18-21.

إسرائيل.²²

إضافة إلى هذا، يُظهر لنا تقرير «تجوال في المستوطنات الإسرائيليّة: تجارة ومتعة من أجل اقتصاد الاحتلال»، الصادر في أيلول عام 2017 عن منطّمة «تحالف النساء للسلام» ضمن مشروعها «Who Profits»²³ (وهو مشروع بحثي يرمي إلى كشف التورّط الاقتصاديّ لشركات إسرائيليّة ودوليّة في السيطرة الإسرائيليّة المستمّرة على الأراضي الفلسطينيّة والسوريّة). يُظهر معلومات وأدلة ملموسة على النهج الإسرائيليّ في قطاع السياحة في الأراضي المحتلة عام 1967.²⁴ أدركت إسرائيل حجم الإمكانيّات السياحيّة الكبيرة التي تتمتع بها الأراضي الفلسطينيّة المحتلة عام 1967، واتّبعت إستراتيجيّة مزدوجة لاستغلالها العدوانيّ، واستثمرت استثمارًا كبيرًا في المشاريع السياحية الإسرائيليّة خارج الخطّ الأخضر. ومع الأسواق الناشئة في السياحة الرقميّة ومنصات الحجز عبر الإنترنت، فإنّ المزيد من الشركات الإسرائيليّة والمتعدّدة الجنسيّات تجني أرباحًا هائلة من السياحة في الأراضي الفلسطينيّة المحتلة، وهو ما يعزّز فرصة الاحتفاظ بالسيطرة الإسرائيليّة غير المشروعة للسكان، والاقتصاد، والأراضي الفلسطينيّة، والسوريّة.

مسيرة الفخر الإسرائيليّة

مسيرة الفخر الإسرائيليّة السنويّة، التي كانت بدايتها في تل أبيب وأصبحت تُنظّم لاحقًا في مدن أخرى، هي مسيرة سنويّة كرنفاليّة تُنظّم مع بداية الصيف من كلّ عام في شهر حزيران، وتشمل العديد من الفعاليّات والأنشطة المرافقة للحدث بما يُعرف بـ «الظهور» («Occurrence»). يُشارك في تنظيمها الجمهور ومؤسّسات وجمعيات مختلفة، مثل مؤتمرات صحفية ومهرجانات أفلام واحتفالات. وفي السنوات الأخيرة، تحظى مسيرة الفخر، التي بات يُشارك فيها أكثر من 200 ألف شخص، بدعم كبير من بلدية تل أبيب ووزارة السياحة الإسرائيليّة.

لم تنظّم أوّل مسيرة فخر رسميّة ومعتَرَف بها إلّا في عام 1998؛ وذلك بسبب حدثين أديا إلى ذلك: الأوّل فوز المغنيّة الإسرائيليّة المتحوّلة جنسيًا شارون كوهن (المعروفة باسم «دانا إنترناشيال») بمسابقة «إيروفيزيون- إيروفيجن» الأوروبيّة («Eurovision») ممثّلة عن دولة إسرائيل. والثاني أحداث فيجستوك («Wigstock») حيث قمعت الشرطة الإسرائيليّة احتفالاً للمثليين/ات في جادة الاستقلال في تل أبيب، وهو ما أثار ضجّة في الإعلام واعتُبر فيه أسلوب الشرطة حينذاك تعبيرًا عن رُهاب المثليّة، وكانت تلك نقطة تحوّل مُهمّة في تاريخ مسيرة الحركة المثليّة الإسرائيليّة، ومُذاك فقط أخذت تُنظّم مسيرة فخر رسميّة ومعتَرَف بها في تل أبيب، وأصبحت تعبر عن أحد أهمّ الأحداث المطالبة بالحقوق والمساواة لمجتمع المثليين/ات الإسرائيليّين. حتّى عام 2005، كانت المسيرة تُنظّم من قبل منطّمة المثليين/ات مع ازدياد جماهيريّ بالمشاركة، وكانت المنطّمة تجمع تبرّعات واشتراكات لتمويل المسيرة من داعميها. لم تنظّم المسيرة في عام 2006 لأنّ المنطّمة لم تتمكّن من جمع التمويل الكافي للمسيرة. وفي أعقاب ذلك، تفرّز أن تمولّ بلدية تل أبيب المسيرة، ومولتها

22. للاستزادة، زوروا [موقع البرنامج](#).

23. المنطّمة معرّضة لملاحقة قضائيّة بسبب نشاطها في تقديم معلومات عن انتهاكات الاحتلال الإسرائيليّ للاستزادة، انظروا: النعامي، صالح. (2017).

9 تشرين الثاني). إسرائيل تكشف قائمة المنطّمات المقاطعة المرشّحة للملاحقة القانونيّة. [العربيّ الجديد](#).

24. Who Profits. (2017). Touring Israeli settlements business and pleasure for the economy of occupation. [Who Profits](#).

في العامَيْن 2007 و 2008 من ضمن ميزانيّة البلدية المخصّصة لـ «ميزانيّة غير متوقّعة»، ثمّ في عام 2009 أصبحت هناك ميزانيّة ثابتة من الميزانيّة العامّة للبلديّة تُخصّص للمسيرة سنويًّا حتّى يومنا هذا.

منذ عام 2008، طفقت المسيرة تأخذ منحىً أضخم ومنظّمًا بشكل أكبر، إذ افتُتح في ذلك العام أول مركز في إسرائيل تابع لبلديّة تل أبيب يُعنى بشؤون مجتمع المثليين/ات، ويعمل على دمج هذا المجتمع في المؤسسات المختلفة في تل أبيب. وفي عام 2009، نُظمت خلال المسيرة حفلات زواج من نفس الجنس لأول مرّة بشكل علنيّ. في عام 2010، نُظمت ثلاث مسيرات فخر (بسبب خلافات داخل حركة المثليين/ات)، إحداها كانت ضخمة نظّمها البلديّة بمشاركة عشرات الآلاف.²⁵ وفي عام 2011، بلغ حجم المشاركين في المسيرة قرابة 100 ألف، كما شارك لأول مرّة ممثلون رسميون عن حركة المثليين/ات المتديّنة في إسرائيل.²⁶ كذلك فازت مدينة تل أبيب في ذلك العام بالمسابقة العالميّة للموقع الإلكترونيّ «Gay Cities.com» الذي ينشط في النشر عن أفضل المدن حول العالم لمجتمع المثليين/ات، متفوّقة على مدن كمديد ولندن وتورنتو ونيويورك -على سبيل المثال- بتصويت بلغ نسبة 43%.

وفي عام 2012، قُدّر عدد المشاركين بين 100 ألف و 200 ألف، وسرّعت وزارة السياحة الإسرائيليّة تمويل الحدث كونه حدثًا للفخر جدًّا، وشارك في هذا العام لأول مرّة الآلاف من السيّاح الأجانب. في عام 2013، بدأت المسيرة تأخذ صدّى عالميًّا على نحو أكبر، وبدأ سياسيون إسرائيليّون يشاركون فيها ويخطبون، كما بدأت سفن المتعة من دول أوروبية تشارك لأول مرّة جالبة إليها آلاف السيّاح المثليين/ات، وجرى في ذلك العام إعلان زواج رجلين فرنسيّين في المسيرة.²⁷ استمرّ تنظيم المسيرة والنشاطات المرافقة لها في العامَيْن 2014 و 2015 مع ازدياد وتطوّر كبيرين في التنظيم والمشاركة.²⁸ ففي عام 2014، شارك لأول مرّة وفد من مركز المجتمع اليهوديّ في أمريكا الشماليّة («JCC») في المسيرة التي أصبحت تُنسّق مع ناشطين في الحركة المثليّة الإسرائيليّة لتسويق المسيرة في الولايات المتّحدة.²⁹

في عام 2016، قرّرت وزارة السياحة الإسرائيليّة تخصيص مبلغ 11 مليون شيكل بغية تشجيع ما يُسمّى السياحة الفخورة («Pride Tourism») -وهو مصطلح بات مستخدمًا على نحو واسع في الخطاب الإعلاميّ في إسرائيل، وذلك من خلال حملات إعلاميّة وعلاقات عامّة في أوروبا ودول أخرى ابتغاءً تسويق دولة إسرائيل بوصفها دولة ليبراليّة، ولدعوة مجتمع المثليين/ات لزيارة إسرائيل. واستنادًا إلى وزير السياحة الإسرائيليّ آنذاك، «بريف لافين»، ستكون الخطة الإستراتيجيّة المنسّقة مع بلديّة تل أبيب وخبراء مهنيّين طويلة الأمد.³⁰ وتمثّلت إحدى هذه الحملات التي عملت عليها وزارة السياحة بتجنيد راقص الدراج الإسرائيليّ («Drag Queen») «أريه عوشريّه» الذي يعيش في

25. Shaked Zahi, Israeli tour guide. (2010). Tel Aviv gay parade Israel - the first part 2010 (video). [YouTube](#).

26. حفروتا متديّنون مثليّو الجنس (Havruta – Religious Gays). (2012). مسيرة الفخر في القدس تل أبيب 2011 - حفروتا- مجتمع دينيّ فخور (فيديو). [يوتيوب](#). [بالعبريّة].

27. Bacchi, Umberto (2013). France's first married gay couple at Tel Aviv LGBT parade 2013. [International Business Times](#).

28. يَزْكُشْنِي، دانه. (2014، 13 حزيران). عشرات الآلاف في مسيرة الفخر في تل أبيب «احتفال بالحدّية»، [وَأَل](#). [بالعبريّة].

29. Creative, Fireman. (2013). First LGBTQ boarding pass trip to go for 2014 Tel Aviv gay pride parade. [Jcca](#).

30. سديه، داني، وكوظلر، عميت. (2016، 3 آذار). السلاح الجديد لوزارة السياحة: دراج كوبن. [واينت](#). [بالعبريّة]

مدينة برلين، من خلال اختياره ممثلًا لدولة إسرائيل في المعرض الدولي للسياحة الذي عُقد في شهر آذار عام 2016 في برلين.³¹

وفي عام 2016، أُعلن عن افتتاح أول فندق فخور (Proud Hotel) في إسرائيل يقع في مدينة تل أبيب باسم «NYX» يستضيف فعاليات متعلّقة بمسيرة الفخر والتنسيق مع بلدية تل أبيب، كاستضافة المؤتمر الصحفي الرسمي للمسيرة الذي يحضره صحفيون من عدّة دول حول العالم، على سبيل المثال، بالإضافة إلى ندوات واحتفالات.³²

تناولت مجلة «ذا مازكر» («The Marker») الاقتصادية، التابعة لصحيفة هآرتس، تقريرًا حول المدخولات السياحية التي تستفيد منها إسرائيل خلال أسبوع الفخر عام 2017 تتوقّع فيه أرباحًا بقيمة 100 مليون شيكل (30 مليون دولار تقريبًا) من السياح الأجانب الذين يأتون خصيصًا لهذا الأسبوع.³³ وأشار التقرير إلى أنّ السياحة الفخورة في السنوات الأخيرة باتت تدرّ أرباحًا كبيرة، وأصبحت عامل جذب سياحي؛ وهو ما يُنعش الاقتصاد وعمل الفنادق والمطاعم والمقاهي والمحالّ الترفيهيّة في تل أبيب. وبحسب تقارير بلدية تل أبيب، الكثير من السائحين هم سائحون عائدون؛ أي شاركوا في السابق وعادوا فشاركوا مرّة أخرى. وبحسب البلدية كذلك، من المتوقّع أن ينفق كلّ سائح يوميًا ما معدّله 270 دولارًا، على الرغم من أنّ المعدّل العامّ لإنفاق السائح في إسرائيل هو 155 دولارًا. يقول «بنيف فیتسمان»، عضو بلدية تل أبيب الذي يشرف على ملفّ تنظيم المسيرة: «إنّ السائحين المثليين/ات المشاركين في المسيرة يتحوّلون بعد عودتهم إلى بلدانهم إلى سفراء لدولة إسرائيل الليبراليّة المتقدّمة».³⁴

إلى جانب هذا التطوّر الذي شهدته مسيرة الفخر الإسرائيليّة، حصلت خلال السنوات الأخيرة نقاشات بارزة داخل المجتمع الإسرائيليّ نفسه لا زالت تتفاعل بشأن صورة المسيرة والخطاب الذي تحمله. ففي بداية سنوات الألفين، تشكّلت حركة راديكاليّة إسرائيلية عُرفت باسم الغسيل الأسود Black Washing وتضمّ مجموعة مثليين/ات إسرائيليين ذوي توجهات يساريّة /لا سلطويّة (أناركيّة)، وأخذت تنادي بضرورة الحديث عن قضايا أخرى إلى جانب حقوق المثليين في إسرائيل، من بينها العدالة الاجتماعيّة والاحتلال الإسرائيليّ للأراضي الفلسطينيّة. تميّزت نشاطات الحركة بأنشطة احتجاجيّة داخل مسيرة الفخر نفسها، حيث كان نشطاؤها يرفعون لافتات ضدّ الاحتلال الإسرائيليّ باللغة العربيّة أيضًا وضدّ السياسات العسكريّة (Militarism) التي تعتمدها دولة إسرائيل. لم تلقّ نشاطات حركة الغسيل الأسود قبولًا لدى ناشطي وقيادات الحركة المثليّة الإسرائيليّة، وذلك بادعاء مُفادّه أنّه يجب عدم خلط قضايا حقوق المثليين مع قضايا سياسيّة راديكاليّة أخرى لا صلة لها بالموضوع.³⁵

علاوة على هذا، طفقت في السنوات الأخيرة نقاشات تدور، ولا سيّما مع شروع وزارات إسرائيليّة في تمويل أنشطة ترويجيّة للمسيرة، تدور حول استغلال وزارات إسرائيليّة (كوزارة الخارجيّة والسياحة -على سبيل المثال) لأهداف تخدم أجندة الوزارة لا الأجدّة التي يضعها الناشطون والقياديون في الحركة المثليّة الإسرائيليّة الذين لهم الفضل في تنظيم وتطوير مسيرة الفخر. تعود خلفيّة هذه

31. المصدر السابق.

32. ماكو (2017، 16 أيار). السياح على الطريق: أول فندق فخور في تل أبيب. [ماكو](#). [بالعبريّة]

33. ميلونوتسكي، جيلي. (2017، 8 حزيران). التوقّعات الجديدة: سياح مسيرة الفخر سيّدرون 100 مليون دولار على الأقلّ. [ذي مازكر](#). [بالعبريّة].

34. ماكو، مصدر سابق.

35. روبينشطاين، تانيا. (2017، 6 حزيران). احتفالات مثليّة وعسكريّة في الفعّاحة التل-أبيبيّة. [اللسعة](#).

النقاشات إلى الفترة التي فيها أعلنت وزارة السياحة عن تخصيص ميزانية مقدارها 3 ملايين دولار لتسيير «طائرة الفخر» (Airplane Pride) للترويج للمسيرة، وهي طائرة ستجوب عددًا من المدن الأوروبية لتُقلّ المثليين إلى مسيرة الفخر، وتكون موسومة بألوان علم الفخر. بلغت هذه النقاشات حدّها عام 2016، عندما هدّدت قيادات الحركة المثلية الإسرائيلية بإلغاء مسيرة الفخر لذلك العام إن لم تتواصل الوزارة مع الحركة المثلية لتخصّص ميزانياتٍ لتنظيم المسيرة نفسها لا لإنفاقها على أمور لا حاجة إليها وتخدم أجندة تختلف عن أجندة مسيرة الفخر التقليديّة، وهو ما دفع الوزارة إلى تجميد الميزانية المخصّصة وقتذاك.

في الجزء التالي من هذه الدراسة، سوف أتناول الأسئلة التي أشرت إليها أعلاه حول علاقة السياحة المثلية في إسرائيل بسياساتها الاستعماريّة «الغسيل الوردية»، وفي نهاية المقال سوف أشير إلى النشاط الفلسطيني والعالمي في مناهضة هذه السياسات.

المنهجية

للإجابة عن أسئلة البحث، سأقوم بقراءة وتحليل الخطابات المستخدمة في الإعلانات المروّجة لمسيرة الفخر في مدينة تل أبيب بمواقع مختلفة من خلال المقالات أو الصور أو الفيديوها، معتمداً منهج التحليل النصّي النوعي («Qualitative Textual Analysis»)، الذي يُعنى بدراسة «النص» بمعناه الواسع والشامل كـ «منتج ثقافي» كما يصفه ستوارت هال (Stuart Hall) يشمل تركيبات بصرية أو أدبية لها معانٍ رمزية ودلالات وقواعد وتقاليد لتوليد معنى من خلالها.³⁶ عمليّة تحليل النصوص لهذه الإعلانات ستكون من خلال عمليّة تفكيك الخطاب داخل الصور والمشاهد والقصص المختلفة، وهو أمر يساعد على بناء دراسة دقيقة لأمثلة عينية وربطها بالإطار النظريّ أعلاه. واختياري للنص سيكون له اعتباران: الأوّل تعدّد أوجه هذا النصّ (نحو: الصورة؛ الفيديو؛ النصّ المكتوب..)، وقد يتجلّى بحملة دعائية أو موقع إعلانيّ. الثاني هو أن تكون النصوص التي أحللها صادرة عن جهات متعدّدة: جهات حكوميّة رسميّة؛ جهات مدنيّة ناشطة؛ جهات ربحيّة (كالشركات).

عيّنة الدراسة

اخترت في عيّنة الدراسة مجموعةً نصوص مكوّنة من مقالات وإعلانات وحملات، وصورًا وفيديوهات أنتجتها جهات إسرائيلية مختلفة في فترة العاميّين 2016-2017،³⁷ منها ما هو حكوميّ رسميّ، ومنها شركات سياحة، ومنها ما هو مدنيّ مؤسّساتيّ غير رسميّ، وما يربطها جميعًا أنّها تنفّذ أجندات الغسيل الوردية.

1- حملة «تخلّوا عالمًا دون مثليين»

ضمن حملة لوزارة السياحة الإسرائيلية ومكتب الإعلان الحكوميّ عام 2016، أُطلق فيديو دعائيّ³⁸ بعنوان «تخلّوا عالمًا دون مثليين»، جاء فيه: «تخلّوا عالمًا بدون مثليين... تخلّوا الحفلات دون

36. Hall, Stuart. (2016). *Cultural studies 1983: A theoretical history*. DUKE University Press.

37. وقع الاختيار على هذين العاميّين لأنّ غالبية العمل على هذه الدراسة كان عام 2017، واختير آخر عامين من تنظيم مسيرة الفخر. بعض الدراسات والتقارير المستخدمة في الدراسة قد تكون بعد عام 2017.

38. لمشاهدة الفيديو. [بالعبريّة]

مثليّين... شواطئ دون مثليّين... مطاعم... معارض فنيّة... حياة دون مثليّين... تخيلوا عالمًا دون مثليّين. لأننا كلنا في تل أبيب. فخر تل أبيب 3 حزيران 2016... فقط 4 ساعات من أوروبا... متعة... متعة... شواطئ، وأكثر الناس إثارةً على الكرة الأرضيّة. احجز رحلتك إلى تل أبيب الآن». هذا هو النصّ المحكيّ، ورافقه صور وفيديوهات من احتفالات مسيرة الفخر في تل أبيب تُظهر بالصور ما جاء في النصّ.



الصورة 1-2: ملصقات ضمن حملة «تخيّلوا عالمًا دون مثليّين»³⁹



الصورة 3: طائرة مُلوّنة بعلم المثليّين مع دعاية لمسيرة الفخر في تل أبيب⁴⁰

2- مقال في موقع القنصلية العامّة الإسرائيليّة في الولايات المتّحدة

نشرت القنصلية الإسرائيليّة في مدينة نيو إنجلاند في الولايات المتّحدة مقالًا باللغة الإنجليزيّة يحمل العنوان «أهلًا في تل أبيب، أكثر مدينة مثليّة على الكرة الأرضيّة» لكاتب اسمه كريستوفر ماذير (Muther Christopher).⁴¹ نُشر المقال سابقًا في صحيفة «بوسطن جلوب» بتاريخ 2016/3/17، وأعادت القنصلية نشره في موقعها الرسميّ. يصف ماذير فيه تجربته في مسيرة الفخر في تل أبيب معتبرًا إيّاها المكان الأكثر مثاليّة، إذ يقول: «يعجز الوصف عند الحديث عن تل أبيب. مثليّة فائقة. بل يمكن وصفها أنّها ما بعد مثليّة... إنّها جيّدة للمثليّين بوجود العديد من الأماكن الحضريّة الصديقة للمثليّين». ينقل في مقاله الترويجيّ حديثًا دار بينه وبين صاحب فندق في المدينة قال فيه الأخير:

39. سبق نشر هذا الفيديو إعلان ملصقات دعائيّة ضمن الحملة تحمل صور مدن عالميّة كبرلين ولندن -على سبيل المثال- كُتب عليها «تخيّلوا لندن دون مثليّين... سيأتي قريبًا»، كنوع من الدعابة التي تثير وتلفت الانتباه، ليلحقها بعد ذلك الملصق ذاته مع نصّ جديد: «نحن كلنا في تل أبيب»، والإعلان عن مسيرة الفخر.

40. كان من ضمن حملة لهذه السنة كذلك تخصيص طائرة مُلوّنة بعلم المثليّين، مع دعاية لمسيرة الفخر في تل أبيب أُطلق عليها «الطائرة الفخورة» (Airplane Pride) ترمي إلى الترويج للمسيرة من خلال نقل مسافرين من أوروبا إلى إسرائيل. إلى مصدر الصورة.

41. Muther, Christopher. (2016, March 17). Welcome to Tel Aviv, the gayest city on earth. [The Boston Globe](#).

«كلّ شيء في تل أبيب مثليّ، مثليّ بطبيعته. الشعب مبدع ومنفتح وليبراليّ وجريء. تل أبيب منفتحة على أشكال جديدة من الفنّ والموسيقى وتقبّل كلّ شيء». ثمّ يستطرد في الحديث عن أنّه من المعروف أنّ نسبة المثليّين في العالم بصورة عامّة هي 10%، إلاّ أنّهم في تل أبيب -بحسب بعض المسؤولين- يقدرّون بـ 25% من سكّانها، ويقوم بالاحتساب على النحو التالي: عدد سكّان المدينة 420 ألفاً... إذاً 105 آلاف من بينهم يعرفون أنفسهم بأنّهم مثليّون في هذه الفعالة العلمانيّة. ويتابع الوصف قائلاً: «مشيت عدّة أميال على الشواطئ المشمسة ورأيت العديد من الأزواج من الجنس نفسه تتشابك أياديهم». كذلك يصف حياة المدينة الليليّة الصاخبة بالحفلات المثليّة حتّى ساعات الصباح ويتساءل: «هل يقومون ضمن الخدمة الإلزاميّة في الجيش بتدريبهم على تحمّل الحفلات بهذا الكمّ؟» ثمّ يقول: «للمدينة مشهد فريد ومزدهر من مطاعم ذات طابع شرق أوسطيّ وطهاة ذوي جذور أوروبيّة. وبصرف النظر عن مدينة يافا القديمة، تل أبيب هي مدينة شابّة... إنّها أكثر مدينة صديقة للمثليّين في الشرق الأوسط».⁴²



الصورة 4: الصورة التوضيحيّة التي تظهر في مقال ماذير.⁴³

3- موقع GayWayTLV

موقع سياحيّ مختصّ في السياحة المثليّة في مدينة تل أبيب باللغة الإنجليزيّة، يحوي العديد من العروض السياحيّة لقضاء عطلة في تل أبيب، وتشمل: الجولات الترفيهيّة؛ الحفلات؛ النشاطات المختلفة وغيرها.

في زاوية خاصّة داخل الموقع تحمل العنوان «يوم في يافا القديمة»⁴⁴ مع صورة من أحياء يافا، تظهر فيها إشارة صليب على أحد المباني، كُتب في هذه الزاوية ما يلي: «تقع في ضواحي مدينة تل أبيب المثليّة مدينة يافا القديمة، وهي بقعة جميلة لا تسمّح لنفسك أن تفوتها لأنّها من أفضل أجزاء الجولات المثليّة في إسرائيل: هناك شيء بسيط وساحر، حديثٌ لكن مع ماضٍ قديم، أصيلة... إنّها على مبعده سفر بضع دقائق فقط عن قلب مدينة تل أبيب المثليّة... بعد كلّ ذلك الضجيج والمناظر الخلّابة، حان الوقت للوصول لرؤية بعض الأماكن الجميلة من المدينة القديمة. كلّ ما هنالك، اترك نفسك تضيع في أزقة يافا القديمة، الرومانسيّة، حيث يعيش العديد من الفنّانين والمثليّين. هناك أيضاً العديد من المعارض».⁴⁵

42. Ibid.

43. الرسم التوضيحيّ لإيزابيل إسبانيول. مصدر الصورة صحيفة [ذا بوسطن جلوب](#).

44. الموقع غير متوافر حالياً على الإنترنت، لكنّه كان متوافراً قبل سنوات. يمكن الاطلاع على [صفحة الفيسبوك](#).

45. انظروا الملاحظة السابقة.

4- موقع «A Wider Bridge»

نَشَر موقع «جسر أوسع» («A Wider Bridge») في 26/9/2016، دعوة حول نشاط شارك فيه عدد من المؤسّسات -منها «المهاجرون المثليّون» («The LGBT Olim») و«مركز المثليّين في تل أبيب، وبلديّة تل أبيب- للإعلان عن برنامج «الخروج للعلن والدخول للبيت» («Coming out, coming home») عبر شبكة الإنترنت للمثليّين المعنّيين بالانتقال إلى إسرائيل والعيش فيها. هو البرنامج الأوّل من نوعه عبر شبكة الإنترنت، وهي المرّة الأولى التي تشارك فيها الوكالة اليهوديّة مع منظمّة «Nefesh B'Nefesh» (منظمّة يهوديّة تعمل في الولايات المتّحدة وكندا والمملكة المتّحدة على تشجيع هجرة اليهود إلى إسرائيل)، ومع وزارة الهجرة في برنامج يتعلّق بالأشخاص المثليّين المعنّيين بالانتقال إلى إسرائيل والعيش فيها.⁴⁸

Coming out, coming home
Everything you wanted to know about LGBT aliyah, but were afraid to ask!

Get answers to all your LGBT/aliyah-related questions from a panel of experts, including the Jewish Agency, Nefesh B'Nefesh, Telfed.
9am PDT (West coast USA, Vancouver)
12pm EDT (East coast USA, Toronto)
4pm GMT (UK)
6pm IST (Israel, South Africa)

Followed by an introduction to Israel's LGBT organizations. Discover just how vibrant and diverse the Israeli LGBT community is:
11am PDT (West coast USA, Vancouver)
2pm EDT (East coast USA, Toronto)
6pm GMT (UK)
8pm IST (Israel, South Africa)

The event will take place on **Thursday 3rd November** at:
- The Gay Center, Tchernichovsky 22 (inside Gan Meir), Tel Aviv
- **Live-streamed via Facebook** - [facebook.com/lgbtolim](https://www.facebook.com/lgbtolim)

LGBT Olim **LGBT CENTER**

الصورة 5: صورة عن إعلان برنامج الانتقال للعيش في إسرائيل ضمن مسار الهجرة لليهوديّ («علياه»)

5 - حملة الجيش الإسرائيليّ

يعرّف شاحر إيرز (Shachar Erez)، الذي خدم خمس سنوات في الجيش الإسرائيليّ، بأنّه أوّل ضابط متحوّل جنسيّاً. في فيديو منشور على صفحة وزارة الخارجيّة الإسرائيليّة باللغة الإنجليزيّة⁴⁹ عن

46. «جسر أوسع» هي -بحسب التعريف في الموقع- مؤسّسة للمثليّين في أمريكا الشماليّة تعمل على دعم إسرائيل ومجتمع المثليّين.

47. وهي مؤسّسة تُعنى بالمثليّين والمتحوّلين ومزدوجي الجنس الذين انتقلوا إلى إسرائيل للعيش فيها. للاستزادة، زوروا [موقع المؤسّسة](#).

48. الجلسة الأولى حُصّصت لهذه المؤسّسات مع إتاحة إمكانيّة أن يطرح الناس الأسئلة عبر الإنترنت، وتمحورت الأسئلة في هجرة المثليّين إلى إسرائيل. والجلسة الثانية ناقشت تنوّع مجتمع المثليّين في إسرائيل وديناميكيتّه.

الجلسات بُنّت عبر [صفحة الفيسبوك](#).

49. لمشاهدة الفيديو.

الضابط إيرز الذي يظهر فيه، جاء ما يلي: «هذا تشارلز إيرز. أول ضابط متحوّل جنسيًا على نحوٍ علنيّ». ثمّ يبدأ إيرز بالتحدّث وهو مرتدّ الزي العسكريّ الخاصّ بجيش الاحتلال الإسرائيليّ فيقول: «مرحبًا.. اسمي شاحر. أنا ملازم في جيش الدفاع الإسرائيليّ... هذه سنتي الخامسة في الخدمة، وعلى ما يبدو أنا أول ضابط متحوّل جنسيًا يخدم في الجيش بصورة علنيّة. في أوّل 24 ساعة في الخدمة لأنيّ جنديّ، عليه أن يجتاز مقابلة شخصيّة مع قائده. جلست مع المسؤولة عنيّ وكان عمرها 19 عامًا... هي أكبر منّي بسنة واحدة فقط ... وأخبرتها أنني متحوّل جنسيًا. لكم أن تتخيّلوا كلّ الأسئلة التي كانت تدور في رأسها، لكنّها سألتني سؤالًا واحدًا فقط: «كيف أستطيع مساعدتك؟ ماذا تريد؟» في هذه اللحظة صدمت... وهكذا بدأت خدمتي». ثمّ يتابع قائلاً: «الجميع ينضمّ إلى جيش الدفاع الإسرائيليّ... لا يهتمّ من أنت، ولا من أين أتيت، ولا ثقافتك أو أصلك... الجميع يأتي إلى جيش الدفاع الإسرائيليّ... نحن معتادون كي نجعل الجميع يشعر بالمساواة». ثمّ ينتهي الفيديو بجملته مكتوبة «إسرائيل حرة لتكون أنت كما أنت حقًا».



الصورة 6: مشهد من الفيديو⁵⁰

6- موقع Outstanding Travel

ثمة موقع سياحيّ آخر⁵¹ يعمل على الرحلات السياحيّة المثليّة في اليونان وإسرائيل، يديره شخص إسرائيليّ اسمه نداف، يركّز في عروضه على الأماكن السياحيّة التي يمكن للمثليّ القادم من خارج إسرائيل أن يزورها خلال أسبوع الفخر، من زيارة لأماكن في تل أبيب وخارجها (كالبحر الميت ومدينة القدس على سبيل المثال). كُتب في الموقع: «أهلاً بكم في أكثر عطلة لا يمكن التنبؤ بها. اسأل أيّ صديق زار تل أبيب، وسيقول لك إنّ المدينة فاجأته في كلّ مرّة، ممّا جعله ينسى كلّ شيء ويستمتع بأوقات جميلة حقًا. تل أبيب عبارة عن متعة، حرّيّة وروعة». يتابع الموقع تقديم الشرح عن مسيرة الفخر والأماكن التي يُنصح بزيارتها، ترافقها إعلانات سياحيّة وصورٌ معظمها لشباب ذكور في سنوات العشرين والثلاثين من العمر ذوي أجساد مفتولة العضلات.

50. للاطلاع على مصدر الصورة انظروا الملاحظة السابقة.

51. للاطلاع على الموقع: [Travel Outstanding](#).

الصورة 7: إحدى الصور المنشورة في موقع Outstanding Travel⁵²

نقاش

أصبح الغسيل الوردّي بالنسبة لإسرائيل حاجة إستراتيجيةّة، تُستغلّ من خلال خطاب حقوق المثليّين، وعلى وجه الخصوص للترويج الواسع بشأن مدينة تل أبيب كعاصمة المثليّين في الشرق الأوسط، للتغطية على صورتها السيئة بسبب ممارستها الاحتلاليّة والعسكريّة. هذا ما يؤكّده الكاتب جان شتيرن (Jean Stern) (2017) صاحب كتاب «سراب مثليّ في تل أبيب» الصادر باللغة الفرنسيّة. يتناول شتيرن بالشرح، من خلال التحقيق الذي أجراه، إستراتيجيةّ التسويق التي تتبناها إسرائيل لجذب مجتمع المثليّين الغربيّين، ويقول خلال مقابلة معه بشأن الكتاب وبشأن التعاقدات الإسرائيليّة مع شركات إعلانات في أوروبا بغية استقطاب المثليّين من خلال السياحة «يتعلّق الأمر بشركة «أوت ناو» («OutNow») التي اعتادت التسويق لعلامات تجاريّة نحو «Orange» و«IBM»، وكذلك تقوم بالتسويق للمدن (نحو: برلين؛ فيينا؛ كوينهاجن...). وبدءًا من العام 2008، وضعت الحكومة الإسرائيليّة هيكلية لـ «براند إسرائيل» («Brand Israel») المتّصلة مباشرة بمكتب وزيرة الخارجية آنذاك، تسيبي ليفني (وهذه الأخيرة كانت عميلة في جهاز الموساد)، التي كانت تدرك تمامًا الصورة الكارثية لبلادها. واستعمل فريق ليفني كلّ الموارد التسويقية لتحسين هذه الصورة؛ إذ أنفق عشرات ملايين الدولارات خلال عدّة سنوات. من هذه الموارد عقّد المؤتمر العالميّ للسياحة الكويريّة. وبدءًا من العامّين 2009-2010، بدأ التدفّق السياحيّ. اليوم يشارك عشرات آلاف السيّاح المثليّين الغربيّين كلّ سنة في مهرجان الفخر المثليّ، في بداية شهر حزيران. وهي سياحة مربحة جدًّا؛ وذلك أنّها تسمح للكثير من البارات والنوادي الليلية والفنادق بالعمل. وعلى الرغم من أنّ إسرائيل أنفقت الكثير من المال على ذلك، كانت عائدات هذا الاستثمار مغرية لا لإسهامها في جذب السيّاح إلى تل أبيب فحسب، وإثما لأنّها أسهمت كذلك في تغيير صورة البلاد عند المثليّين كمثل المقولة التالية: «إنّه بلد لطيف معنا فلا يمكنه أن يكون سيئًا -كما يقولون- مع الفلسطينيين».⁵³

52. للاطلاع على مصدر الصورة انظروا الملاحظة السابقة.

53. ستيرن، جان؛ وبارزيلي، مارتن. (2017، 2 حزيران). الغسيل الزهريّ في تل أبيب (ترجمة وليد صوّ). المنشور: المنتدى الاشتراكيّ.

يقول نائب رئيس اللجنة اليهودية الأمريكية للسياسات العامة، خلال لقاء له مع ناشطين وقياديين في حركة المثليين في مدينة لوس أنجلوس مع وزير السياحة الإسرائيلي عام 2015، بغية تشجيع السياحة المثلية لإسرائيل: «مع ازدياد المقاطعة (BDS) في الجامعات وازدياد معاداة السامية، من المهم أن تكون هناك مجموعات أخرى إلى جانبك. من المؤسف أن نسمع أن مجموعات طلابية مثلية تدعم مجموعة «طلاب من أجل العدالة في فلسطين». كيف لا يفهمون أن إسرائيل هي في الشرق الأوسط المكان الوحيد الذي يكون المثلي فيه آمنًا ومرحّبًا به، حيث تتمتع المرأة والأقليات بحقوق متساوية، وحيث تسود الديمقراطية؟⁵⁴ وتُظهر طبيعة هذه الزيارات، التي يقوم بها وزير السياحة الإسرائيلي، أن الغسيل الوردية هدفٌ مركزي للحكومة الإسرائيلية للحصول على دعم قيادات حركات المثليين العالمية، وجزءٌ من تبييض صورة إسرائيل عالميًا.

تعتمد إستراتيجية الغسيل الوردية على استهداف المجموعات العلمانية والليبرالية في الغرب، لا المجموعات المتديّنة اليهودية والمسيحية التي هي في صفّ إسرائيل مسبقًا، وذلك من خلال تشكيل صورة لإسرائيل على أنها حديثة بعيدًا عن الدين أو الحرب؛ وذاك قناع لصرف النظر عن واقع التمييز العنصري المُتأسس. هذه الإستراتيجية كانت من بنات أفكار خبراء أمريكيين في مجال التسويق تعاقبت معهم ثلاث جهات إسرائيلية عام 2005 -وزارة الخارجية؛ مكتب رئيس الوزراء؛ وزارة المالية- لإطلاق حملة دعائية عالمية عُرفت لاحقًا باسم «براند إسرائيل» («Brand Israel») لمواجهة حركة المقاطعة الدولية.⁵⁵

يقول عيدو أهروني (Ido Aharoni)، الدبلوماسي الإسرائيلي الذي عمل في الخارجية الإسرائيلية لسنوات عديدة، ومؤسس فكرة «براند إسرائيل» («Brand Israel»)، إن لكل بلد شخصية معيّنة يُعرّف بها عالميًا (على سبيل المثال: البرازيل للمتعة، وباريس للرومانسية)، لكن إسرائيل -بحسب أبحاث أُجريت- ترتبط بالصراع؛ وهذه الصفة سيئة لن تجلب السياح -وإن كانوا مؤيدين لإسرائيل-. لذلك عمل أهروني من خلال «براند إسرائيل» على تغيير هذه الصورة من خلال التسويق أن إسرائيل مكان جذاب لوجهات مثل الطاقة المتجددة، والزراعة الصحراوية، إضافة إلى مجال الأفلام والرقص والفنون وأنماط الحياة والترفيه.⁵⁶

وهذا ما أتبع لاحقًا تجاه مدينة تل أبيب على كونها صديقة للمثليين لدرجة أنها مدينة مثالية. ويعتمد خطاب الغسيل الوردية أيضًا على الترويج لمقولة مُفادها أن تل أبيب /إسرائيل هي البلد الوحيد في الشرق الأوسط الآمن والمرحّب والصادق للمثليين. ومن خلال هذا الخطاب يمكن اعتبار الغسيل الوردية أشبه بأيدولوجية ومشروع پروباغندا إسرائيلي إستراتيجي. هذا المشروع يتقاطع أيضًا مع مشروع «الهستراه» (Hasbara -وتعني التفسير أو الشرح)، وينشط على واجهات عدّة من الدبلوماسية العامة والعلاقات لتحسين صورة إسرائيل في العالم، ومن أبرز مضامينها: 1- أعداء إسرائيل يسعون إلى نزع الشرعية عنها. 2- العرب لا يقبلون حقّ الشعب اليهودي في تقرير مصيره. 3- إبراز قصة النجاح الإسرائيلي في إقامة دولة ديمقراطية. 4- إبراز قضايا انتهاك حقوق الإنسان في الشرق الأوسط، وقمع الحريات الدينية والسياسية للأقليات في الشرق الأوسط. 5- إسرائيل تؤمن بالسلام لكن جيرانها العرب لا يؤمنون بذلك ويهدّدونها باستمرار. وغيرها...⁵⁷

54. Dekel, Yanir. (2015, December 3). Israeli tourism minister Uzi Landau meets LGBT leaders in Los Angeles. [The Jerusalem Post](#).

55. Elia, Nada. (2012). Gay rights with a side of apartheid. [Settler Colonial Studies](#), 2(2). Pp. 49-68.

56. Anonymous. (2010, June 17). Diplomat's bid to 're-brand' Israel. [The Jewish Chronicle](#).

57. التميمي، نؤاف يوسف. (2016). [اللوبي الصهيوني والرأي العام في بريطانيا النفوذ والتأثير](#). الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات.

من أمثلة عمليّات صناعة الغسيل الوردىّ الفيلمُ الإباحيّ المثليّ «رجال إسرائيل» («Men of Israel»)، الذي صدر عام 2009 للمخرج الروسيّ الإسرائيليّ ميخائيل لوكاس (Michael Lucas)، وروّج له على أنّه أوّل فيلم إباحيّ مثليّ إسرائيليّ. صوّر الفيلم في العديد من المناطق، من بينها تل أبيب وحيفا والبحر الميت وقرية لِفْتا المقدسيّة الفلسطينيّة المهجّرة عام 1948 والمدمّرة، والتي لا يستطيع أهلها العودة إليها حتّى اليوم. كتب المخرج في موقع الفيلم الرسميّ: «خلقت وسائل الإعلام العالميّة صورة عن إسرائيل كمنطقة مرّقتها الحرب. الصور التي تُبثّ إمّا من الضفّة الغربيّة أو من قطاع غزّة، بصرف النظر عمّا إذا كان للقصة وجهة نظر مؤيدة أو مضادّة. لم يكن يُظهر إطلاقاً تل أبيب وحيفا والبحر الأحمر والبحر الميت، والشواطئ الجميلة والهندسة المعماريّة المذهلة وثقافة الاحتضان التي تسمح لمواطنيها بالازدهار. لهذا السبب، بالإضافة إلى عرض براعة الرجال الإسرائيليّين، استكمل لوكاس «رجال إسرائيل» كخطوة جريئة لتعزيز الثقافة الإسرائيليّة والسياحة». لا يُظهر الفيلم المستوطنات القائمة على المواقع التي صوّرت فيه مشاهده، ولا يذكر أنّ لِفْتا قرية مهجّرة، ومن خلال هذا العمل نرى كيف يركّز الغسيل الوردىّ على ادّعاءات «حزبيّات المثليّين» التي تبدو شاملة وغير سياسيّة من خلال تصوير إسرائيل كليبراليّة للمثليّين، إلّا أنّها تخفي سياسة تعتمد على التصنيف العنصريّ.⁵⁸

لا يقتصر الغسيل الوردىّ على الترويج للديمقراطيّة والليبراليّة الإسرائيليّة المنفتحة تجاه المثليّين، بل يحمل كذلك خطاباً تجاه المثليّين الفلسطينيّين في كون إسرائيل هي المكان الآمن لهم لأنّها تحمي حقوق المثليّين، وهو خطاب «يأخذ منطقاً استعماريّاً واستشراقياً عنصريّاً ينزع عن الهويّات الأصليّة الفلسطينيّة إنسانيّتها من خلال تصوير المجتمع الفلسطينيّ مجتمعاً رجعيّاً متخلّفاً، يقمع أفرادَه جنسيّاً وجنديّاً، تلعب إسرائيل فيه دور المنقذ الذي يذوب فيه المحتلّ فيصيرُ مَلاذّاً لمُنتَهكي الحقوق من الفلسطينيّين. وهي إستراتيجيّة لسرّعة منظومة الاستعمار الصهيونيّ، ولو اتّخذ الأمرُ عناوينَ حقوقية تموّه الحقائق والواقع».⁵⁹ هذه جزئيّة هامّة من خطاب الغسيل الوردىّ لا يمكننا فصلها عن المنطق الاستعماريّ وراء هذا الخطاب والمخيّلة التي يرسمها؛ إذ إنّ «الصهيوتيّة والغسيل الوردىّ ينفيان الانتماء الفلسطينيّ، وعمليّة التنصّل ومحو الجسد الفلسطينيّ جزءان أساسيّان من الغسيل الوردىّ الإسرائيليّ، حيث تُظهر دائماً صورة الفلسطينيّ كتهديد أمنيّ، مقابل صورة المثليّ الفلسطينيّ بوصفه ضحيّة ثقافة مجتمعه ولاجئاً إلى إسرائيل التي تعطيه الملجأ».⁶⁰ وتكمن العلة في هذا الخطاب في أنّه يقسم المجتمع إلى ثنائيات حول رُهاب المثليّة كإطار سياسيّ من خلال من هم «حلفاء للمثليّين» ومن هم «أعداء للمثليّين»، ويخفي طبيعة النظام القائم، وهو خطاب تتبنّاه العديد من الحركات والجمعيات المثليّة حول العالم، فتُصبح تل أبيب -على سبيل المثال- هي الملجأ الذي يُنقذ المثليّ الفلسطينيّ -والإنقاذ في هذا السياق يعني كُده الفلسطينيّ المثليّ لمجتمعه.

تجدر الإشارة كذلك إلى أنّ الترويج أصلاً للفكرة التي مُفادها أنّ تل أبيب هي ملجأ للمثليّين الفلسطينيّين هي فكرة غير صحيحة؛ وذلك أنّها تخفي واقعاً مغايراً يعيشه من يقدّر الذهاب

58. Britt, Brett Remkus. (2015). Pinkwashed: Gay rights, colonial cartographies and racial categories in the pornographic film men of Israel. *International Feminist Journal of Politics*, 17(3). Pp. 398-415.

59. أمنة جمال، رأفت. (2015، 13 حزيران). *إسرائيل وحملات «الغسيل»: الاستعمار بلونه الوردىّ*. القوس للتعدّديّة الجنسيّة والجنديّة في المجتمع الفلسطينيّ.

60. Schotten, Heike, & Maikay, Haneen. (2012, October 10). Queers resisting Zionism: On authority and accountability beyond homonationalism. *Jadaliyya*.

العيش هناك، من صعوبات حياتية وملاحقة الشرطة التي تبحث عن الفلسطينيين الذين دخلوا إلى إسرائيل بطريقة «غير شرعية»، إضافة إلى استغلال الشاباك أسلوب الابتزاز الاجتماعي للمثليين بهدف الحصول على معلومات استخباراتية. أسلوب الابتزاز الاجتماعي هذا يتبعه الشاباك، والذي لا يقتصر على المثليين، من خلال تهديد الأشخاص بالإبلاغ عنهم أو فضحهم.⁶¹ وحدة الرصد الإلكتروني، المعروفة باسم «وحدة 8200»، تراقب الفلسطينيين. وقبل ثلاث سنوات، نشر 43 جندياً من الاحتياط في هذه الوحدة بياناً يُدينون فيه العمل المطلوب منهم فيها: مراقبة المثليين والمثليات وممتني الجنس ومدمني الكحول بغية ابتزازهم لاحقاً.⁶² لذا، يُعتبر الغسيل الوردية آلية عنيفة تجاه المثليين الفلسطينيين لأنه «بيعههم» ملجأ ومتعة متخيلة في واقع مختلف.⁶³ فضلاً عن هذا، يُخفي الغسيل الوردية رهاب المثلية داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه، ولا يذكر حالات الاعتداءات العديدة التي قام بها إسرائيليون تجاه المثليين وصلت بعضها إلى عمليات قتل وفي مدينة تل أبيب نفسها.⁶⁴ كذلك يُخفي الغسيل الوردية آراء أناس - وإن كانوا قلة داخل المجتمع الإسرائيلي- هم من الناشطين المثليين وغير المثليين المعارضين الإسرائيليين للغسيل الوردية وللسياسات الإسرائيلية الاحتلالية. منهم من قرروا الهجرة أصلاً من إسرائيل وما عادوا يرؤونها بلداً آمناً أو مريحاً لهم كأشخاص يعرفون أنفسهم بأنهم كويريون، وضاقوا ذرعاً بالهيمنة الغريبة الصهيونية على المجتمع الإسرائيلي وثقافته؛ فحتى في الوقت الذي كان يُحتفل فيه بمسيرة الفخر، أسقط الكنيست اقتراحات قوانين متعلقة بحقوق المثليين.⁶⁵

ما بعد النقاش: في مقاومة الغسيل الوردية

تُناقش الباحثة سارة شولمان (Sarah Schulman)، في كتابها «إسرائيل / فلسطين والكوير الدولية» («Israel\Palestine and The Queer International»)، من خلال الجولة التي قامت بها في فلسطين وإسرائيل، السؤال التالي: لماذا على الحركة الكويرية أن تتضامن مع فلسطين وتتخلى عن معايير «المثلية الوطنية» من خلال نضالها، وعدم سلخ المثليين عن نسيج مجتمعاتهم والتعامل معهم ضمن معايير مفروضة من الخارج لا تقراً الواقع السياسي والثقافي والاقتصادي للمثليين في كل بلد؟ وتعمد شولمان في تحليلها على تفكيك سياسة القوة المبني عليها خطاب حقوق المثليين من خلال نقدها للسياسة الدولية، على اعتبار أن التركيز على خطاب «الحقوق» و «الأمان»، دون ربطه بالنضال ضد الاستعمار، يُفضي إلى إقصاء المثليين والمثليات والمتحولين والمتحوّلات جنسيًا. وتعتبر شولمان، بناءً على مقابلات أجرتها مع نشطاء كويريين فلسطينيين في جولتها، أنه دون ربط النظرية الكويرية بمناهضة الاستعمار لا يمكننا الحديث عن نظرية كويرية، لأنها ستستغل هذه الهوية لتبرير الظلم في كل مكان؛ وذلك أن الحرية الكويرية -بحسب شولمان- لا يمكنها أن تكون قائمة على نكران حقوق الآخرين.

61. O'Connor, Nigel. (2013, February 19). Gay Palestinians are being blackmailed into working as informants. [Vice](#).

62. ستيرن، وبارزيلي. مصدر سابق.

63. للاستزادة بشأن هذا الموضوع، في الإمكان مراجعة العدد الخاص من [مجلة جدل](#) (العدد 24)، الصادر عام 2015، الذي تناول موضوع السياسات الجنسية وعلاقتها بالاستعمار.

64. Gallager, Paul, & Agencies. (2009, August 2). Two killed in Tel Aviv gay support centre shooting. [The Guardian](#).

65. عميت، هيل. (2016، 1 آذار). هجرة «كويرية» من البلاد. [السعة](#).

مما يجدر بالإشارة إليه أنه في السنوات السابقة بدأت حملات دولية كويريّة تدعو إلى مقاطعة مسيرة الفخر في تل أبيب. الفيلم الوثائقيّ «الغسيل الوردى المكشوف: بياتل تردّ المعركة» («Pinkwashing Exposed: Seattle Fights Back»)، وهو من إخراج دين شپيد (Dean Spade)، هو أحد هذه الأمثلة، حيث يتناول ردّة فعل ناشطين كويريين في منطقة شمال غرب المحيط الهادئ في الولايات المتّحدة على حملة الغسيل الوردى، من خلال جولة قام بها ناشطون مثليون إسرائيليون في الولايات المتّحدة. وأظهر الفيلم تجربة هؤلاء الناشطين الكويريين في مدينة بياتل في التصديّ لهذه الحملة وفضح خطاب حقوق المثليين الذي يُستخدم للتغطية على جرائم الاحتلال والدعاية المؤيّدّة لإسرائيل.⁶⁶ وفي عام 2016، أصدر ناشطون إسرائيليون فيديو بعنوان «الغسيل الوردى الرسميّ تل أبيب 2016» محاكاة لفيديوهات «مسيرة الفخر الرسميّة في تل أبيب 2016» التي تنتشر على يوتيوب قبل مسيرة الفخر السنويّة، ويظهر في دمج ما بين الترويج للمسيرة وما بين مَشاهد من ممارسات الاحتلال الإسرائيليّ التي يخفيها الغسيل الوردى.⁶⁷

وثمة حملة دولية تحمل العنوان «pink Israel Watching» ترصد وتفضح ممارسات الغسيل الوردى الإسرائيليّ.⁶⁸ كذلك بادر العديد من الناشطين حول العالم، في السنوات الأخيرة، إلى التظاهر خلال مسيرات الفخر الرسميّة في بلادهم ضدّ الغسيل الوردى الإسرائيليّ، وإثارة هذه القضية على صعيد عالميّ.⁶⁹ علاوة على ذلك، تنشط جمعيّة «القوس» للتعدّدية الجنسيّة والجنديّة داخل المجتمع الفلسطينيّ بالتوعية بشأن الغسيل الوردى الإسرائيليّ.⁷⁰ ويمكن النظر إلى أنّ نشاط «القوس» في محاربة الغسيل الوردى يحمل بُعداً أوسع من تنظيم حملات إعلاميّة؛ إذ إنّ نشاط هذه الجمعيّة الممتدّ منذ سنوات نجح في توفير إطار وفضاء فلسطينيّ كويريّ، مقابل المؤسّسات الإسرائيليّة التي تستخدم خطاب الغسيل الوردى تجاه المثليين الفلسطينيين وحمائيتهم من «مجتمعهم القامع». وبعد سنوات من مطالبات مؤسّسات كويريّة إسرائيلية أن يُمنح الكويريون الفلسطينيون الإقامة في إسرائيل لأسباب إنسانيّة، لم تنجح هذه المؤسّسات في تحقيق ذلك حتّى بعد وصول الموضوع إلى محاكم؛ وذلك أنّ القانون ينصّ على أنّ الملاجئ مُعدّة للكويريين الواقعيين في ضائقة شريطة أن يكونوا من مواطني دولة إسرائيل.⁷¹

وتعتبر الشافعي أنّ إسرائيل تلجأ «إلى تليفيق الأكاذيب وابتداع الأساطير حول كفيّة «إنقاذ» الفلسطينيين من عائلاتهم ومجتمعاتهم الظالمة التي يتفشّى فيها هُباب المثليّة الجنسيّة. أحد الأساليب التي تستخدمها إسرائيل منذ سنين في حملة «الغسيل الوردى» يتجلى في إنقاذ الفلسطينيين من عائلاتهم ومجتمعاتهم وتوفير الحماية لهم في تل أبيب، واحة الحرّيات لمثليي الجنس. قد تكون تل أبيب جنة بالنسبة إلى المواطنين الإسرائيليين، أو حتّى بالنسبة إلى مئات الزوّار الذين ينجذبون إلى السياحة المثليّة فيها، لكنّ الحال ليست كذلك بالنسبة إلى المثليين الفلسطينيين».⁷²

66. Dean Spade. (2017). Pinkwashing exposed: Seattle fights back (full-length with English captions) (video). [YouTube](#).

67. Vardi, Sahar M. (2016). SHEFITA - Pink [Aerosmith cover] - Tel Aviv Official Pinkwash 2016 (video). [Youtube](#).

68. موقع [الحملة الرسميّة](#).

69. انظروا - على سبيل المثال - [مسيرة الفخر في برلين 2016](#) (فيديو)؛ [مسيرة الفخر في لندن 2012](#) (فيديو).

70. للاطلاع على نشاط القوس في هذا الخصوص، انظروا: <https://cutt.ly/PfmugdO>

71. معيكي، حنين. (2019، 9 تشرين الثاني). تل أبيب تحمي المثليين؟ عن الهروب إلى أسطورة إسرائيليّة [متراس](#).

72. شافعي، غدير. (2015، صيف). «الغسيل الوردى»: إستراتيجية إسرائيل الدوليّة وأجندتها الداخليّة. [كل](#).

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية

